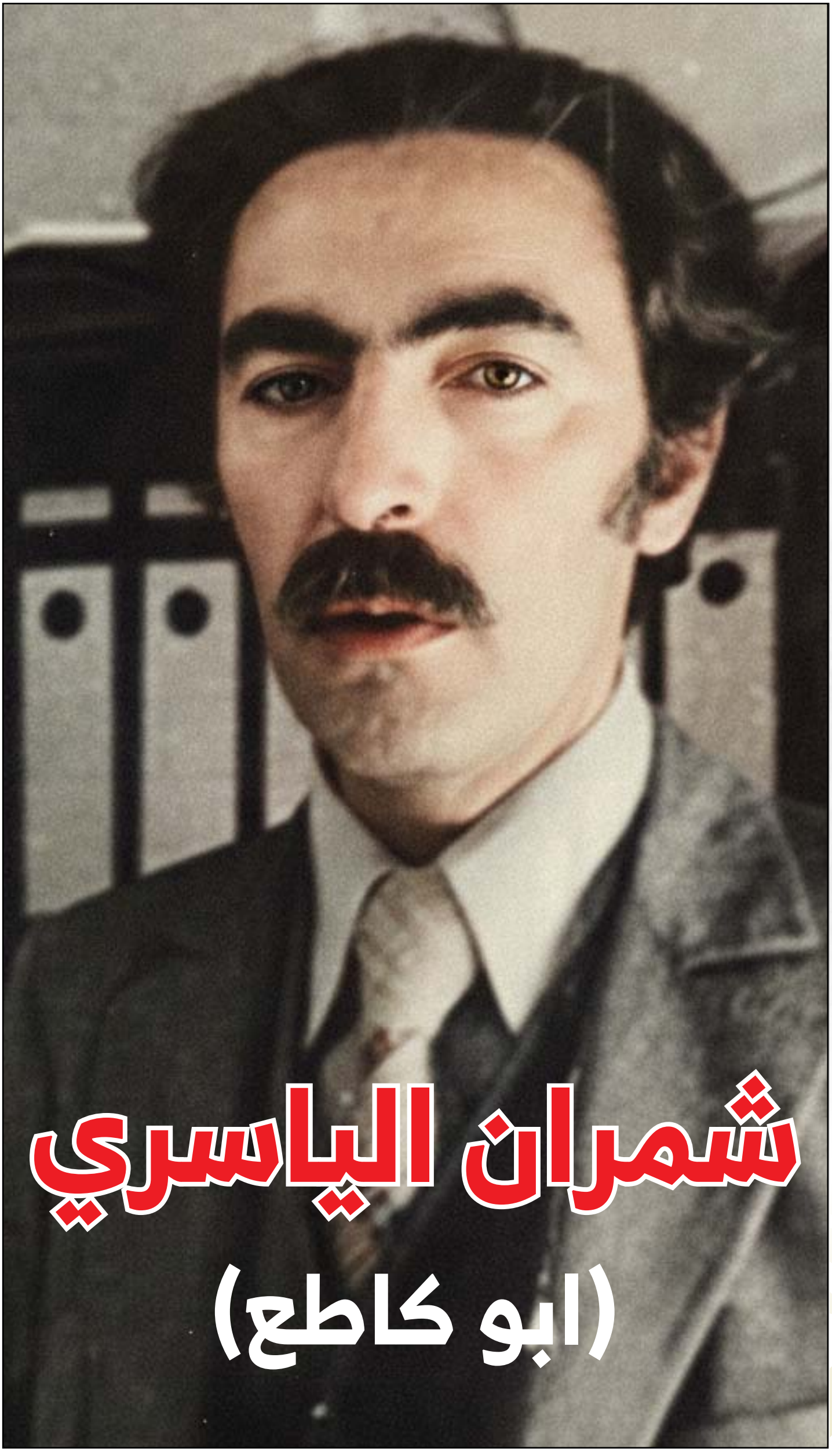

شمران الياسري
(ابو كاطع)

مراجعات

من زمن التوهج

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة

المدى

للإعلام والثقافة والفنون

www.almadasupplements.com

"22عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"

رئيس مجلس الادارة
رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (6082) السنة الثالثة والعشرون
الخميس (30) شباط 2026

شمران الياسري (ابو كاطع) ظاهرة صحفية وأدبية لن تتكرر!

ماجد لفتة العبيدي

ليس من السهل الحديث عن الكاتب و الصحفي والإنسان والمناضل ابو كاطع الذي أثار جدلا حول اسلوبه وطريقته في الكتابة والتي تمثل امتدادا للكتابة الشعبية الساخرة والواعية لمغزى معالجاتها السياسية والاجتماعية من خلال استخدام اللغة الشعبية الدارجة والحسجة الجنوبية المدعمة بالأمثال والحكم والأشعار والحكايات، و الذي يحاول الربط فيها بين الماضي والحاضر والبوح عن المستقبل من خلال طلاسم الماضي عبر مفاتيح اللغة الشعبية الجميلة.

لم تكن عصية على ابو كاطع تلك الاستخدامات اللغوية الغزيرة بالمعاني والتي جعل منها لغته السردية في رباعيته التي تحمل مفاتن الريف بكل ما تعنيه الكلمات والصور السردية من معنى، كيف ان لا يكون ذلك وشمران محسن يوسف الياسري، المكنى ابو كاطع وهو المولود عام ١٩٢٦ في قرية محريجه في غرب الكوت من اسرة فلاحية متوسطة الحال و تحتل مكانة دينية و اجتماعية في القرية وفي منطقة البتراء غرب الكوت، عموما وبفعل الانتماء العائلي تعلم القراءة والكتابة في الكتاب (الملا)، وسهل له التعليم وحبه للإطلاع والمتابعة الاحتكاك بالمعلمين والمثقفين من ابناء المدينة، و تأثر بهم وبثقافتهم والذي أسهم في انتمائه الى صفوف الحزب الشيوعي العراقي الذي كان نشطا في الفرات الاوسط ، وكان عام ١٩٥٣، هو عام التجربة الأولى للعمل الصحفي للفلاح المثقف ابو كاطع بإصداره جريدة (صوت الفلاح) بخط اليد، ومن ثم انتقاله الى بغداد بعد ثورة تموز ١٩٥٨ للعمل في الاذاعة وتقديم برنامجه الاذاعي (أحجيها بصراحة يابو كاطع) وعمله في جريدة اتحاد الشعب لسان حال الحزب الشيوعي العراقي وكتابة عمود بصراحة ابو كاطع، كما عمل في جريدة البلاد وصوت الأحرار والحضارة في عام ١٩٥٨ .

وقد تم سجنه لمدة عام لتوقيعه عريضة تطالب بالسلم في كوردستان، ١٩٦٢ ولم يتم اطلاق سراحه إلا قبل عدة اسابيع من انقلاب ٨ شباط الأسود عام ١٩٦٣، وقد نجا من الموت بأعجوبة و تخفى عدة شهور في بيت أحد أعمامه في بغداد، ليلتحق فيما بعد برفاقه في الفرات الاوسط ويعمل مع رفاقه لإعادة التنظيم الحزبي رغم الإنقلاب الدموي الذي راح ضحيته آلاف الشيوعيين والديمقراطيين وأنصارهم وأصدقائهم وفي مقدمتهم قيادة الحزب (سلام عادل ، جمال الحيدري والعبلي)، وظل يعمل متخفيا في ريف الكوت والحي والناصرية والعمارة مع العديد من رفاقه الشجعان من امثال الشهيد البطل أبو محسين صالح احمد العبيدي والشهيد عباس ساجت ابو ماجدة و الشهيد صافي مجلي ابو فهد والشهيد سيد خضر الزاملي ابو جلال والرفيق كريم غويلي ابو عزيز .

وساهم ايضا بإصدار جريدة الحقائق السرية الصادرة في منطقة الفرات الأوسط في اواسط الستينات، حيث ساهمت تلك التجربة في سد الفراغ الذي خلفه تعذر اصدار جريدة الحزب المركزية طريق الشعب نتيجة الظروف القاسية التي خلفها انقلاب شباط الفاشي.

عمل شمران الياسري في الثقافة الجديدة والفكر الجديد والتآخي وطريق الشعب في السبعينات، وكان له في طريق الشعب عموده الثابت (بصراحة ابو كاطع)، الذي أرعب البعثيين وجعلهم يطالبون الحزب بإبعاده ومن ثم تدبير له تهم تهريب السلاح وتنظيم خلايا شيوعية في الجيش والتي تعني الحكم بالإعدام، مما أضطر لمغادرة العراق والبقاء خارج الوطن الى حين استشهاده في حادث مدبر في ١٧ اب ١٩٨١ في وهو في طريقه لزيارة ابنه جبران في هنغاريا، ليودعه للالتحاق في كوردستان العراق.

كتب شمران الياسري رباعيته (الزنّاد، غنم الشيوخ، بلابوشن دنيا، افلوس أحميد) على ضوء الفانوس في فترة اختفائه في ارياف منطقة الفرات الاوسط اواسط الستينات، وقدمها الى وزارة الاعلام العراقية التي رفضت عبر لجنة التعضيد في الوزارة واعتذرت عن طبعها بحجة عدم صلاحيتها للنشر، مما اضطره على طبعها في مطابع الثقافة الجديدة عام ١٩٧٢ وعلى حسابه الخاص عبر الشراء والاكتتاب المسبق، وكانت هذه التجربة من اوائل التجارب في بيع كتاب قبل ان يطبع وينشر.

لم يمنح الكاتب شمران الياسري مساحة واسعة وحيزا وافرا في ميدان النقد الادبي، ولم تحظ تجربته الصحفية والأدبية باهتمام النقاد والأوساط الادبية، بالرغم من ان ابو كاطع يعتبر امتدادا أصيلا لرواد الكتابة الشعبية الساخرة والفكاهية في العراق، ويعتبر واحدا من أبرع كتابها وأدبائها في السبعينات.

يذهب بعض النقاد الى اعتبار رباعية ابو كاطع غير مستوفية لشروط السرد الروائي من جوانب جمالية اللغة والحبكة والتسلسل الزمني المتوالي والمتقاطع، ويغلب عليها الطابع الصحفي، ولكن الذي يقرأ الرباعية بأجزائها الأربعة يرى أن الكاتب قد جسد التسلسل الزمني للرواية عبر السرد الروائي، فكانت رواية الزناد تتحدث عن فشل ثورة العشرين من خلال تذكر احداثها من قبل الشاعر حسين والذي تذكر ابن مهلهل الذي عقل ركبته مع شباب القرية وهم هزوجات ثورة العشرين وهو يعيد شريط ذكرياته في مضيف الشيخ سعدون ابن مهلهل .

اكلن لج يجامعة الحسن عيناج
فن كوكز وديلي بعسكره يدناج
كون اهلج جفوج احنا بطرب جيناج
خل يمن كلبج يرعمه

اما في الجزء الثاني من الرباعية (بلا بوش دنيا) فكتب شمران الياسري عن المعركة بين الجيش الانكليزي والجيش العراقي في ١ أيار ١٩٤١ بعد انقلاب بكر صدقي، حيث نقل الشيخ فالح ابن مهلهل الراديو الى المضيف ليشيع فضول الفلاحين لسماع الاخبار، ولسماع برقية فالح ابن مهلهل الى رئيس الوزراء متوعدا حصد الانكليز بالمناجل.

وفي ص٤١ من رواية بلا بوش دنيا تحدث خلف الدواح عن مخاوفه بقتل ولده فرهود في حرب فلسطين ١٩٤٨، وكذلك الرسالة الواردة الى ملا نعمة ابن حسين من صديقه مهدي المعلم في ٤ايلول ١٩٥٣ والتي تناول فيها مذبحة سجن بغداد وإضراب السجناء في سجن الكوت.

وكذلك أشارة ابو كاطع في رواية غنم الشيوخ الى التراتبية التسلسل الزمني للسرد الروائي من خلال اذاعة بيانات الثورة، وقول خلف الدواح (...يافرحتك يافرهود ...اليوم يومك يافرهود ...هاي الجمهورية الردتها) ص١٢ ، اما في رواية فلوس أحميد وهي الجزء الرابع من رباعية ابو كاطع، فكان مسرح الرواية السردية يتحدث عن نشاطات الثورة المضادة ومساندة الاقطاعيين لحركة الشواف وتحضيرهم للسلاح في بيت الشيخ ضاري ابن فالح ابن سعدون مهلهل، وتراجع الثورة وطرد ملا نعمة وابن سويليم من قيادة الجمعيات الفلاحية، وتباهي سيد علي الكربلائي والشيخ رضا وسرورهم في تخريب العلاقة بين قاسم والشيوعيين وتنظيف الجمعيات الفلاحية من الشيوعيين، كانت تلك الاحداث مقدمة لانقلاب شباط الاسود والتي جسد احداثها ابو كاطع فيما بعد في رواية حمزة الخلف التي نشرت في عام ١٩٨٣ بعد رحيله.

اما عن استخدام الثنائية اللغوية في الرواية، اي تعدد اللغة في رباعية ابو كاطع فلم يكن بدعة اخترعها الكاتب، فقد سبقه العديد من الادباء والكتاب في البلدان العربية وكانت المحاولة الاولى لمحمد حسنين هيكل الذي كتب رواية زينب عام ١٩١١ والتي وقعها باسم فلاح مصري، وكذلك توفيق الحكيم في العودة، وغالب هلسا في سلطانه، وغائب طعمة فرمان في المركب والياس خوري في غائدي الصغير، وحيدر أبو حيدر في عشبة البحر، وهناك العشرات من الادباء الكتاب المعروفين الذين أبدعوا في ثنائية اللغة.

ان النص السردي الروائي للكاتب شمران الياسري كان التجربة الأولى لفلاح مثقف يكتب عن حياة اقرانه الفلاحين وبيئتهم الريفية بلغة جميلة دالة وبإيماءات استخدم فيها الامثلة والأشعار والاهزوجه والحكاية، وخصوصية تجربة الكاتب الروائية وتفردها عن باقي الأعمال التي كتبها الادباء العراقيون عن الريف العراقي، ان الأدباء الآخرين كانوا يصورون الريف العراقي بعيون ابناء المدينة الوافدين للريف من معلمين وموظفين وأبناء ذوات، ولهذا جاء تفرد ابو كاطع عبر لغته الجميلة وحبكته للنص التي شدت القارئ له وجعلته يتابع حركة ابطاله على مسرح الرواية بكل اهتمام ليكتشف قاموسا مليئا بالكلمات المحكية الدارجة الجميلة التي استخدمها في شخوص رباعيته من خلال الأشعار والأمثال والحكم وحكايات الموروث الشعبي .

حقا يمكن القول ان مقالة واحدة لا يمكنها ان تفي بالغرض لعرض المنتاجات الادبية والصحفية للكاتب شمران الياسري وهي بحاجة الى مزيد من تسليط الضوء عليها عبر الدراسات النقدية الأدبية.

عن موقع (الحزب الشيوعي العراقي)

صديق الفقراء الأديب شمران الياسري (ابو كاطع)

إحسان شمران الياسري

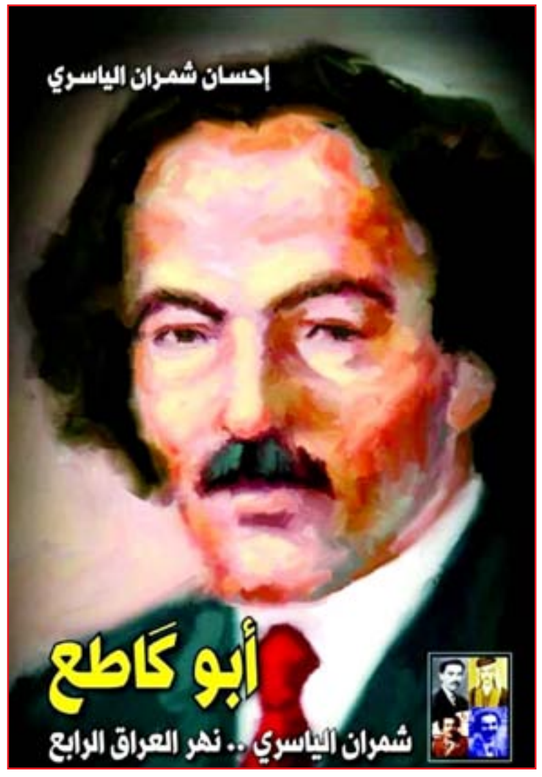

إذا كانت هذه الرواية قد بدأت من مضيف الشيخ (سعدون بن مهلهل) في ليلة من ليالي كانون الباردة، وبدأت في الزمان الذي أصبحت فيه ثورة العشرين عام ١٩٢٠ ذكرى قريبة، يتغنى العراقيون ببطولات ثوارها، ويتحسّرون على خسارتهم للمعركة أمام القوة الكبيرة للأنكيز، فأنها تنتهي قبل أن تسقط ثورة الرابع عشر من تموز المجيدة ويتم اجهاضها عام ١٩٦٣ صريعة المؤامرة والفاشية، وفوضى إلادارة التي طبعت المراحل الأخيرة من عهدها.

ولقد إختار الكاتب ان تنتهي الأحداث (المنشورة) من الرواية قبل يوم الثامن من شباط الاسود عام ١٩٦٣، لان الرواية نشرت في العراق، وفي ظل النظام المسؤول عن ذلك الحدث الاسود.. ولكن المؤلف أكمل في روايته الثانية (قضية حمزة الخلف)، التي نشرت عام ١٩٨٣ بعد رحيله بعامين، احداث الانقلاب وما تلاها.. الامر الذي يجعل الرواية الاخيرة جزءاً اساسياً من الرباعية وخاتمتها التي جسّدت براعة المؤلف عندما يتحرر من قيود الرقابة ويقول الاشياء بمعانيها ومدلولاتها.

فقد كتب الرواية وهو في المنفى ونشرت بعد وفاته في بيروت، ووصلتنا بعد ان عاد المنفيون عام ٢٠٠٣.

لقد أرّخ هذا العمل المجيد لمرحلة حرجة من مراحل الدولة العراقية الحديثة لاكثر من أربعة عقود، تتطور فيها سلطة الاقطاع بدعم ومباركة الانكليز والسلطة التابعة لهم، وُتلقي بظلالها على ريف الوسط والجنوب ـــ محور الرواية ومناخها ـــ.. فالكاتب يؤرخ لمرحلة نشوء الاقطاع، وعلاقة ذلك بالانتكاسة التي تعرضت لها عشائر الفرات الاوسط (هذي دَية ثوار الفرات يدفعونها لشيوخ العشاير بدجلة).. فلقد عاد (ابن طرفة) يحمل الف روبية هدية من الحاكم الانكليزي.. وما ان سمع الشيخ (سعدون بن مهلهل) بهذا الخبر، حتى بدت قضية الوصول الى الحاكم الانكليزي هاجسه الأعظم، والبداية لنشوء السلطة التي خلقتها الألف روبية وتحالفاته مع اعداء الأمس.

ثم تعرضت الرواية لوقائع سقوط الأقطاع على يد ثورة تموز المجيدة ونشوء علاقات اجتماعية واقتصادية جديدة، تتجلى خلالها أخلاقيات وقيم المجتمع، وثبات بعضها وإنزواء الأخرى بسبب هذا الوضع الجديد.

لقد قدمت هذه الرواية المرحوم (شمران الياسري – أبوكاطع) أديباً عظيماً عرفه العراقيون عبر قلمه الرائع وبرنامجه الاذاعي الهائل الذي شغل الناس وحاز على اعجابهم ومتابعتهم.. وعندما بدأت جهود نشر الرواية، وهي جهود إستمرت لأشهر لإقناع وزارة الثقافة والإعلام (سابقاً) لتعضيد نشر الرواية، ثم اعتذارها لأسباب معروفة، تحول الهدف الى أن يتولى القرّاء تمويل النشر من خلال شراء الرواية مقدما.. وهي تجربة فريدة في زمن كانت الدولة تطبع اوطأ الكتب قيمة ولعشرات الجهلة من الكتاب و أدعياء الثقافة والفكر.. فمثل هذا بحق تحديا فطريا من الجمهور المثقف لأعداء الثقافة والفكر العراقي.

لقد كتب المرحوم ابو كَاطع هذه الرواية على ضوء الفانوس في الفترة التي تخفى فيها عن السلطة غداة انقلاب شباط ١٩٦٣.

كان يصل الليل بالنهار وهو يكتب ويُصَحح وُيعيد الكتابة.. وكان يقرأ مسوّداتها لأصدقائه الذين يأتون لزيارته تحت جنح الليل، متخفين من عيون الشرطة وجواسيس السلطة.. فيتحاورون ويناقشون. وكان بعضهم شخوصاً بالرواية وابطالاً لأحداث بعينها..

ان (الزنّاد) هو الاداة التي استطاع بها (إبن مهلهل) التغلب على الشخصية الاسطورية (خلف) وأستحوذ على (ديمته) مقابل هذا الزنّاد..

ولكن ذات (الزنّاد)، يستطيع ان يتسبب بحريق هائل ويغير مجرى الاحداث، ويوقف ما لم يستطع (خلف) التغلب عليه، وهو البطل الهائل، والطيب حد السذاجة.

لقد عاش (أبوكاطع) في الريف، تعلّم منه ما لم يتعلمه في المدينة وفي المدارس والعمل السياسي..

إن ما تعلّمه في الريف هو الذي كوّن شخصيته اللماحّة التي إلتقطت واختزنت ألوف المشاهد والجزئيات التي يعجز المشاهد من خارج تلك البيئة ان يلتقطها.. ولسوف يُعطي التأريخ لهذا الرجل البارع شهادة على انه تفرّد حد إلإبداع في عرض صورة الريف وإخلاقيات أهله، ونمط تفاعلهم مع الحياة وتداعياتها بطريقة لم تتح لموهبة أخرى، وأجزم انها لن تتاح في الزمن المنظور.

فالذي يعيش في أجواء هذه الملحمة الفاتنة التي تحكي قصة الشعب العراقي الساكن في الريف، لن يتمكن من مغادرة هذا الجو بسهولة.. وعندي أدلة على اصدقاء قراوا الرواية فحفظوا مقاطع طويلة منها، ومشاهدات وحوارات في قراءة اولى لها.. وعندما حاولتُ الاستيضاح عن هذه المقدرة في الحفظ، قالوا بثقة (ان هذه الحوارات محظ حياتنا ونمط سلوكنا، ومن العجيب انها وضعت على الورق بهذه الامانة!!)..

ولم يترك المؤلف بعض التفاصيل التي لا يمكن تصّور وجودها في جو درامي مشتعل بالاحداث الكبيرة.. فقد غاص في تفاصيل الحياة العادية وفي الغزل والجنس المتمّرد على حدود الذهن الريفي. كما وصف الكرم، يقابله البخل المفزع.. ولقد وصف ذكاء أهل الريف وسرعة بديهتهم للحدود التي تقنع ابن المدينة الذي لم يعش في بيئتهم.

لقد نشرت هذه الرواية، عام ١٩٧٢ ضمن منشورات مجلة الثقافة الجديدة، المجلة التي قادت الفكر العلمي والثقافة التقدمية ومازالت تفعيل ذلك بشرف وأمانة.. وطبعتها مطبعة الشعب..

وخلال عام ٢٠٠٣، بعد سقوط نظام الحكم، كان المثقفون، وعامة الناس، يبحثون في شارع المتنبي عن الرباعية او عن بعض اجزائها، وكان اصحاب المكتبات يعرفونها تماماً ويرشدون الى النسخ المصورة منها والاماكن التي توجد فيها..

خلال عام ٢٠٠٦ اتجهت مطبعة (الرواد) الى فكرة إعادة طبع الرواية، وهو حلم راود الكثير من محبي أدب (أبوكاطع)، وبعد أن بادرت وزارة الثقافة مشكورة الى اعادة طبع رواية (قضية حمزة الخلف) التي نشرت عام ١٩٨٣ بعد عقدين من الزمن..

ان مطبعة (الرواد) تقدم خدمة مجيدة للمكتبة العراقية عندما تعيد طبع هذه الرواية، مُعرضة عن تفاصيل الكلفة واحتمالات الخسارة والربح، معتمدة بالدرجة الأساس على حقيقة ان هذا العمل الكبير يجب ان يكون في متناول القارئ للتذكير بان الشعب العراقي الذي خاض في الريف معركة التحرر من التخلف جنباً الى جنب مع المدينة، بعمالها ومثقفيها وطلابها، يستحق توثيق نضاله المجيد.. وللتأكيد على إن المكتبة العراقية لم تُغلق، وإن القارئ العراقي موجود، وعليك أن تسعى إليه وتقف ببابه، تقدم اليه المادة الجيدة في هذا الزمن العصيب.

ان رواية (شمران الياسري) (الرباعية) بأجزائها الاربعة (الزنّاد، بلابوش دنيا، غنم الشيوخ وفلوس أحمَيد) تستحق القراءة، وتستحق التفكير الجدي بانتاجها كعمل سينمائي او تلفزيوني او اذاعي، لانها ملحمة وطنية تقطعت انفاسنا ونحن نتابع بأهتمام شديد شخوصها وأبطالها وهم يتحركون على مساحة زمنية وجغرافية وأخلاقية واسعة..

وتستحق (مطبعة الرواد) كل التقدير لهذه المبادرة المخلصة.. كما تستحق إذاعة (راديو الناس) التقدير والعرفان بعد أن قررت إعادة عرض هذه الرواية بطريقة مبتكرة فيما يسمى (الكتاب المسموع).. واستطاع الفنان المبدع الاستاذ (جاسم الياسري) أن يضع المستمعين في أجواء قريبة من مقاصد المؤلف للشخصيات والاحداث والبيئة.. لانه إبن البيئة وأحد الشهود على جانب مهم من أحداث الرواية.

لقد حظي المؤلف بقدر معقول من الاهتمام غداة سقوط النظام عام ٢٠٠٣، فاحتفت به الصحافة بطرق مختلفة.. وأعادت وزارة الثقافة نشر روايته (قضية حمزة الخلف).. كما منحته درع المتنبي.

ويسعى عدد من المثقفين (الدكتور عبد الحسين شعبان، الشاعر فالح حسون الدراجي، الاستاذ خليل الموسوي، الفنان جاسم الياسري، الصحفي جهاد زاير، المهندس حميد الياسري، الصحفي فائز الياسري، وكاتب هذه السطور) لاطلاق موقع الكتروني وتأسيس مركز ثقافي تحت اسم (مركز شمران الياسري للثقافة والآداب).

سيبقى (شمران الياسري – ابو كاطع)، متفرداً في حصاد القيمة الكبرى للكتابة من الريف عبر أفق فني وأدبي لم يتح لمثله.. وسيبقى الريف العراقي قضية كبرى ومصنعاً هائلاً لإنتاج الثقافة ومنبت الفكر الخلاق في الشعر والأدب والخطابة والسياسة.. ولقد كانت (صراحة) (أبوكاطع) مدرسة كبرى في انتاج العمود الصحفي اليومي، ثم في انتاج الرواية الرائعة.

ابو كاطع.. وقوة الرصد للّحظات واستثمارها

علوان السلمان

لمكسيم غوركي (التاريخ الحقيقي للانسان يكتبه الفنانون لا المؤرخون..) وشمران الياسري١٩٢٦، ١٩٨١ احد اولئك الذين امتلكوا قوة الرصد للحظات واستثمارها..عبر رباعيته التي صدرت عام ١٩٧٢ باجزائها الاربعة(الزناد) القداحة) و (بلابوشن دنيا) و(غنم الشيوخ) و (فلوس حميد).. اذ تبدأ بتاريخ ١٩٢٣ وتنتهي بقيام ثورة تموز ١٩٥٨.. وهي تعتمد لغة محكية واداء سردي شعبي متوالف وامثال وحكايات شعبية تدلل على امتلاك كاتبها طاقة في التقاط الواقع وشحنه بالمفارقات وفنون الادب المحركة للذاكرة..

لقد تنفست هذه الرواية وجودها بعد مخاض طويل مع الرقابة التي اجازتها ولم تعضدها.. بل عضدها جمهورها الذي اشتراها قبل صدورها.. كونها تربط بينه وبين الثقافة والسياسة بروح شفيفة تجسد التاريخ الاجتماعي والسياسي العراقي عبر لغة فنية مبنية على توليفة التعامل مع الجملة وتوظيفها وربطها بالمثل الشعبي الحامل لمدلوله.. النافذ لعقل متلق مهيأ لاستيعابه والوقوف على مأثوراته بتجسيد تاريخ مجتمع ونقل التفاصيل الجغرافية والتاريخية والاجتماعية بدقة..

.شمران الياسري اقترن اسمه بابي كاطع انطلاقا من برنامجه الاذاعي وعموده الصحفي (احجيها بصراحه يبو كاطع).. باعتماده الاسلوب الواقعي ومعالجة الحدث برؤى ثاقبة عبر لغة شعبية شفيفة واسلوب ساخر ترك اثره في تاريخ الصحافة ابتداءً من صحيفته الحلمية السرية (صوت الفلاح).. فصوت الاحرار والبلاد والحضارة العلنية..

.شمران الياسري يصطاد الفكرة من تناقضات الواقع ويعيد بناءها بتلقائية على لسان ابطاله.. كما في الفلاح الهارب من القهر الاجتماعي والبيئي من الجنوب الى العاصمة فيتماهى مع شخصية ابو كاطع وشخصية خلف الدواح ... اذ عن طريقها صار ابو كاطع يحاكي ذاته ويتجاوزها ليناقش الوضع السياسي والاجتماعي وينتقده بسخرية لن تتجاوز حدودها.. عبر عموده (احجيها بصراحه يبو كاطع).. كونه مجسا لواقع الحياة اليومية.. ثرا بالحكايات والقصص والامثال والشعر والمفارقة بسخرية شفيفة بعيدة عن الابتذال مدغدغة روح متلقيها بحكم لغتها الرصينة المحكمة البناء البعيدة عن التقعر والتصنع فضلا عن بساطتها وبنائها التكنيكي.. وهذا يكشف عن خزين فولكلوري تحتفظ به الذاكرة..

.شمران الياسري في رباعيته يجسد تاريخ المجتمع العراقي من خلال مفردات الريف الاقتصادية والاجتماعية والفكرية.. فيرسم خارطة اناس يحلمون ببيت وارض وآلة حديثة وبذور.. وبذا كان نصه السردي بارومتر الحياة الاجتماعية على حد تعبير الناقد ياسين النصير....اذ منها يستلهم المتلقي الظروف التي مر بها العراق ومنها غادر باسلوب ساخر تعبيري وتركيب ثقافي يجمع بين حسجة الجنوب (التورية) وموالات الفرات وصوت العشائر وغناء البادية ومنابر الحسينيات وثقافة الريف الحكائية ولهجتها الشعبية..

(قرأت لخلف الدواح ما نشر في صحف الامس مثل الزواجير!

هذا يعني ان الرباعية مهدت لادب ريفي اجتماعي فكانت رائدة في مجالها مقابلة لريادة غائب طعمه فرمان في(رواية المدينة)..

.شمران الياسري..ضمير الشارع بكل موجوداته لحيوية موضوعاته وسخونتها الجامعة بين نقيضين (الجد والسخرية)..كونه (يفكر بوضوح فيكتب بوضوح)..على حد تعبير ماركس.. فهو يواشج بين ايقاع الفكرة والاسلوب الواقعي الساخر في معالجة الحدث برؤى ثاقبة ولغة شفيفة ..

لقد تميزت رباعية ابو كاطع الروائية بابعاد فنية متماسكة وهموم ايديولوجية واجتماعية مركزية.. وهي مبنية على مبدأ الصراع المنطلق من الحياة فكان المحرك الذي يشحنها بشحنات جمالية وفكرية.. كونها تنطلق من صميم الواقع الريفي بموجوداته ومكوناته.. بلغة تزاوج بين تراث الفصحى والموروث المحكي ببراعة وتلقائية.. كشف عنها قول غائب طعمه فرمان بعد لقائه الاول مع ابي كاطع عام ١٩٦٩ في احد مقاهي شارع السعدون..

(بدأ اللقاء وكان احدنا يعرف الآخر منذ عهد نوح.. وهذا التعبير مستلهم من روح (ابو كاطع) أسر لي قائلا: هل تحب القراءة؟ قراءة أي شيء نعم ..القضية كلها يا محفوظ السلامة يعجبني اصير روائي جا بس انتو..شوفها واحكم عليها رواية لو خرط..)..ثم يسترسل (فرمان) واصفا عوالم الرواية (اخذ يتنامى في خيالي المبصر عالم متجسد.. رحب عارم للوسط الذي يصوره ومعرفة مستفيضة بخبايا الحياة الريفية وحنايا سكانها الواقعين الى حد احساس القارئ بانفاسه تدفئ قلبه..)

. شمران الياسري..عالم مجسد لانفاس الريف حتى انه صار ظاهرة ثقافية (مسموعة ومقروءة)..كونه اوجد لونا من الوان الكتابة لم تألفه الصحافة العراقية.. انه المقال الصحفي الاعلامي الهادف بلاغيا وعاميا باسلوب سهل مشوق محقق للمتعة والمنفعة ..مع قدرة على تطويع الراي الجمعي بلغة متماسكة البناء.. وهذا ما اكسبه صفة المثقف العضوي المنتمي على حد تعبير غرامشي الايطالي..

الاول حول قرار وزارة الاعلام القاضي باعادة مدينة بابل الاثرية.. وكلفة المشروع كما تقول الوزارة ١٢ مليون دينار تسهم في تغطيته منظمة اليونسكو.. والمبلغ ، اياه ، مخصص لصيانة الابنية الاثرية، القائمة حاليا وتخليصها من الامـلاح واعادة بناء الزقورة.. واجزاء من السورين الداخلي والخارجي وعدد من بوابات المدينة.. وقد (تدارسنا الموقف) خلف الدواح وانا ..فاستقر رأيه على تقديم مشروع لوزارة الاعلام يتحمل نتائجة المادية والادبية ويذهب الى ابعد من ذلك فيقول:

(.. وركبتي تتحمل خل الوزارة تكول: طلع عدنا خبير چبير كلش بالاثار اسمه خلف الدواح.. والاحسن يكولون اسمه (كلف الدّواه) اشوية اليق.. حتى يصير مقبول اقتراحي لو قدموه للاخ يانسكو ، الله يجزيه بالخير على هالاريحية ، يكولون يكول الخبير الچبير (كلف الدواه) چانت مدينة بابل هالشكل..)

واليكم خلاصة المقترح:

يعاد بناء الزقورة بمبلغ نصف مليون دينار وتصان الابنية القائمة بنصف مليون دينار اما الاحد عشر مليونا الاخرى فتصرف لبناء احد عشر الف بيت للفلاحين يكون كل واحد منها على هيئة (زقورة) تشيد على امتداد الطريق من بابل (متصلة بالزقورة الام) والى بغداد.. ويعتقد خلف الدواح، ان السائح الاجنبي، وهو يشاهد ذلك (يسيح) من شدة الانبهار بهذه الحضارة العظيمة، حين ترافقه الزقورات (من فوك من المحمودية لمن توصل للزكورة الاصلية).

ويهمس في اذني، بحذر:

.بهالطريقة، هم نحيي (اثارنا) وهم نحيي هدعش الف عايله ونسكنهم بالبيوت اللي نسوي شكلهن

ابو كاطع.. من اعماق الريف الى أنوار الصحافة والأدب

مصطفى النهر

قرر مجلس محافظة بغداد بجلسته الاعتيادية بتاريخ ٢٠١٩\٥\٧ بالأغلبية المطلقة تسمية (شارع ١٠) الشارع الرابط بين ساحة الأندلس ومجسر ملعب الشعب باسم شارع شمران الياسري (ابو كاطع) بعدها نشرت عدة صفحات على مواقع التواصل الاجتماعي قرار التسمية ولكن ما لفت انتباهي بعض التعليقات على منشورات صفحة (الحزب الشيوعي العراقي) و(يسار شيوعيي الصويرة) على الفيسبوك حيث هناك بعض المعلقين كتبوا من هو ابو كاطع وهذا ليس بغريب لان عدة أجيال من العراقيين لم تعرف شيئا عن المئات بل حتى الآلاف من المناضلين الشيوعيين والوطنين الذين غيبتهم عقود من الاستبداد والطغيان ومع الأسف الشديد استمرت أجهزة الإعلام الرسمية وغير الرسمية الموجهة من قبل الاحزاب المتنفذة بالتعتيم الإعلامي على هذه النجوم الامعة بسبب نهجها القائم على الاستئثار بالسلطة والإقصاء والتهميش

فتعالوا نتعرف شيئاً قليلاً ونكشف بعض التفاصيل عن حياة ابو كاطع النجم المضيء والقائد الشيوعي الذي ترك اثراً لا ينسى لدى كل من عرفه بلطف معشره وثقافته الموسوعية وسرعة بديهيته اضافة إلى حس النكتة والذي غنى عنه فنان الشعب فؤاد سالم وأول من جمع بين الفصحى والعامية الريفية في كتاباته.

اسمه/ شمران يوسف محسن الياسري (شمران الياسري ابو كاطع) المعروف في بعض نتاجاته بخلف الدواح.كاتب وروائي وأديب شيوعي ثوري كانت كتاباته منذ بدايتها تعكس الاسلوب الساخر والنقدي للحكومات المتعاقبة بأسلوب سهل وممتع لدى القارئ وباللهجة العامية الريفية.

تولده/ ولد شمران في عام ١٩٢٦ م في ريف محيرجة (ناحية الموفقية حالياً) التابعة لقضاء الحي تقع جنوب غرب مركز محافظة واسط الكوت وتبعد عنه ٣٥ كم.

نشأته ودراسته نشأ الياسري في أقصى الريف العراقي وبين بيوت الطين والطبيعة الخلابة وينحدر من عائلة السادة الياسرية العلوية وكانوا يجيدون الزراعة لم يدخل إلى المدرسة الرسمية آنذاك لكنه تعلم القراءة والكتابة لدى الملا (الكتاتيب) ولوالدته دور كبير في تعلمه حيث حفظته القرآن .

كانت رغبته في التعلم كبيرة مما دفعه إلى الاعتماد على نفسه وقراءة كل ما يقع تحت يده تعلم الانكليزية ايضاً على يد بعض معلمي مدرسة حمورابي في مشروع الدجيل وبعد نجاحاته العديدة قرر أن يدرس ويتقدم إلى الامتحان الخارجي (بكلوريا) وفعلاً اجتازه بنجاح وبسبب المطاردة والاضطهاد لم يتمكن من إكمال دراسته الجامعية .وفي سبعينات القرن المنصرم درس الصحافة من خلال عدة دورات صحفية في معهد الصحافة بألمانيا الديمقراطية.

انتمى ابو كاطع إلى صفوف الحزب الشيوعي العراقي في سنة ١٩٤٨ م ومنذ انتمائه التصق اكثر بقضية الوطن والفلاحين وعموم الكادحين. وقد ثقف نفسه بالمطالعة ودراسة مختلف الكتب وخاصة الماركسية واتصل ببعض المثقفين والأدباء في مدينتي الحي والكوت حيث كان أغلب المثقفين وأهل العلم في تلك السنين هم من المعلمين والمدرسين الذين كانوا مشاعل تنوير في ظلمات الريف العراقي وهو ما أضاف له الكثير

بعد نجاح ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ انتقل الياسري للسكن في بغداد وفتحت أمامه أبواب الصحافة والإذاعة بشكل واسع وانتسب إلى نقابة الصحفيين واتحاد الأدباء العراقي حيث نال شهرة واسعة من خلال برنامجه الاذاعي المشهور (احجيها بصراحة يبو كاطع) الذي كان يبث من الإذاعة الرسمية الوحيدة للجمهورية العراقية كان يتحدث عبر المذياع باللهجة العامية الريفية ومحررا في صحيفة التآخي ثم طريق الشعب التي كان له زاوية خاصة فيها في الصفحة الأولى وله عمود ساخر يصدر يوميا اسماه (بصراحة ابو كاطع) في بداية السبعينات أصبح مديرا لتحرير مجلة الثقافة الجديدة وكان معه نخبة من الأدباء والكتاب المعروفين منهم فاضل ثامر الفريد سمعان ياسين النصير وفي مجال الرواية حققت رباعيته (الزناد ، بلابوشن دنيا ،غنم الشيوخ ، فلوس أحميد) شهرة واسعة وهي اول رواية تكتب باللهجة العامية العراقية وهي توثق بدقة تفاصيل الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية في الريف العراقي خاصة وباقي البلاد عامة نشرت في عام ١٩٧٢ ضمن منشورات الثقافة الجديدة وأعيد طبعها بعد ٢٠٠٣ من قبل دار الرواد المزدهرة.

وايضاً هناك رواية أخرى وهي (قضية حمزة خلف) نشرت عام ١٩٨٣ بعد وفاته وأعيد طبعها في عام ٢٠٠٦ من قبل نفس الدار.

خلف الدواح هو الاسم المستعار الذي ذيل به شمران نتاجاته ويقدم النقد السياسي للسلطة أبان فترة الجبهة الوطنية (تحالف الشيوعيين والبعث) وفي أغلب الأحيان كان (خلف الدواح) يسبب الاحراج للجريدة.

اعتقل ابو كاطع أوائل عام ١٩٦٢ م بسبب توقيعه على وثيقة (السلم في كردستان) التي كانت تطالب عبد الكريم قاسم بايقاف الحرب ضد الحركة الكردية وطاردت السلطات الكثير من المثقفين والأدباء العراقيين الموقعين على الوثيقة وأطلق سراحه قبل شهرين من انقلاب شباط المشؤم ليمكث في السجن قرابة العام

بعد الانقلاب في ٨ شباط ١٩٦٣اضطر الياسري للاختفاء حيث سكن فترة في دار أخيه ابو محسن ببغداد وبعدها انتقل للعيش والعمل الحزبي السري في أرياف الحي والكوت ونشط في تلك الفترة في اعادة التنظيمات كونه من العارفين بطبيعة المنطقة الجغرافية والاجتماعية إضافة لخبرته السياسية والتنظيمية

رحل ابو كاطع (خلف الدواح) في ظروف غير واضحة تماما. فقد توفي في ١٧ اب ١٩٨١ عن عمر ناهز ٥٥ سنة في حادث سير وهو ذاهب من جيكوسلوفاكيا إلى هنغاريا لزيارة ابنه الأكبر (جبران) وتم دفنه في مقبرة الشهداء الفلسطينيين في بيروت. وكان الحادث مريرا ومؤلما لرفاقه ومحبيه الكثيرين جداً، وقد نزل بعيداً عن وطنه الذي أحبه وعشقه مثله مثل غيره من الشيوعيين والوطنيين والمثقفين الذين كانوا يحلمون فقط بوطن حر وشعب سعيد. رحل ليترك لنا نحن الأجيال الجديدة من الشباب ارثاً ثقافياً كبيراً وتاريخاً ناصع البياض ومثالاً علينا ان نقتدي به وهو الإنسان الفلاح المثقف الوطني الذي اعتمد على نفسه في صناعة مجده ليحلق عالياً في سماء العراق.

رغم ذلك الرحيل المفجع يبقى شمران الياسري علماً من اعلام الثقافة والسياسة في العراق، ترفع اسمه عالياً ابداعاته في تلك المجالات ويأتي ضمن هذا السياق تسمية الشارع المار بمحاذاة مقر اللجنة المركزية لحزبه الشيوعي ومن امام اتحاد الأدباء، نوعاً من الوفاء والتكريم لهذه القامة الباسقة من قامات الثقافة والسياسة في العراق والذي بقي محافظاً على فكره ومبادئه حتى آخر لحظات حياته.

عن موقع (الحزب الشيوعي العراقي)

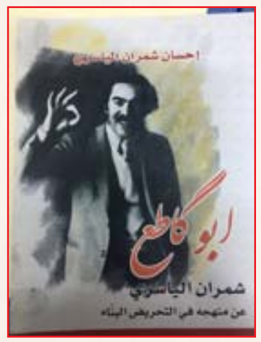

شمران الياسري(أبو كاطع) في ذكراه... قصيدة لشاكر السماوي

ذياب مهدي محسن

ريبورتاج:..... بنغمة الشعر وبحر الصبا!
والفكرة المتقدة بعبق طليع النخيل...وشدو البلابل في الأصيل... كم انا في شوق ممض الى أن اكتب ببساطة وطبيعية أنسياب ماء نهر... بلغة أهل عراقي وجنوب المرائي... فهذه الخبرات وماتفرزه من تعقيدات ومعتقدات تسمم الثقة بالنفس وتشوش على البصائر ربما التحدي لكن تورم الذات بعقد نفسية وأفات عقلية تنتشر على نسيج كما الدمامل ؟؟ ولذلك ارجع لأكتب بلغة أهل بلدي...العراق...عن شمران الياسري ابو كاطع...رحلة شاقة عبر تاريخ نضال الحزب الشيوعي "أنتمائه" ونضاله الشخصي! دروب وعرة تخطاها!باحثا عن خلاص حقيقي غير موجود! ورغم من الأنكسار ومحاولات الأحباط التي جابهته ! لكنه صامد ولم ينفك أن يدين الواقع ويعرية من أجل غده السعيد! وكأنه جسر ضروري لأختصار الزمن "الحلم" المتطاول وشروط أولى لأنسانية الأنسان وخاصة الأنسان العراقي هذا ابو كاطع كما عرفته.

شمران... بزيه القروي متلفعاً بعباءة ذات لون بني يعلو هامته عقال(حياوي) غليظ أستقر على يشماغ يوحي لأول وهلة بأنتمائه الى ريف نهر الغراف المنحدر من مقدم سدة الكوت والمتجه صوب الجنوب بهدوء ليتشتت ماؤه في أهوار الثوار بعد سد البردعة في الشطرة الناصرية... في هذا المكان ولد وعاش شمران...هنا عالمه الحقيقي وفردوسة وذكرياته وأحلامه وأمتلاؤه من طينه ومائه ...ثبتت قيمه الأنسانيه ومتزجت أفكاره... أنه "الحي" في العراق وحزبه... شمران وجه مستطيل يشع بالبياض (نور جده محمد ص) جبهة عريضة واسعة بهية، شارب أسود نافر، عينان لامعتان تشعان بريقا ذكيا، قامة اقرب الى الطول وقوام رشيق مع تقوس خفيف في عظام الظهر، لايدل على تقدم في العمر! بل هو دليل حياء وخجل وأدب.

شمران... في كتاباته ينسج بأتقان الفكرة او لا ثم العبارة، انه مصور دقيق للشخصيات،فنان ومفكر ومادته الصحفية تضم حشدا من الصور الأمعة، تأتي أشبه بالعاصفة وأحيانا تتراءى هادئة، بصورة متزاحمة ولماحة وهو في كلتا الحالتين مكتشف للمعاني عبر ما انتجته عقليته النيرة ما تدعه منفتحا على الدوام على الحياة وجمالها وعلى ديمومتها... أفكاره محملة بلسعات ومقطوعات ثرية متوهجة عميقة الأثر، كبيرة المغزى، تجسد في قادرة على ألاكتشاف وبذات الوقت الحرص على الوفاء لابعاد العمل الفني والممزوج بالنضالي كما هو يقف بصلابة في رباعياته الروائية المعروفة فلقد اضاف فيها مسارا جديدا للثقافة العراقية وفي تلك المساحة الممنوحة له من الحرية!!؟؟

شمران... لقد مر باصعب تداعيات المرحلة في زمن المخاض الجديد الجبهة "الجبحة" كما كان يسميها!! وعاش وأهله وحزبه صراعا فكريا وسياسيا ومهنيا حادا ظل يكابده بألم ممض فختار الرحيل عن ارضه وعن حزبه الذي منحه كل شيء في حياته كان رجلا قسريا وصعبا وسلسا كالزلال ورقيق كنسائم فجر الفلاحات ، رحل عن اصدقائه ومحبيه فسكن ارض الغربة مختنقا بهواء لم يألفه سلب منه هويته وجموحه وصبواته وجلجلة ضحكاته مودعا (خلف الدواح) وفلوس أحميد ليصرخ من جديد بوجوه الأقنعة المزيفة..... بلابوش دنيا....!!؟؟

شمران...!!

الذين عاشوا مع "ابو كاطع" سنوات ابداعه الروائي و حفره تلك الخواطر الغزيرة في الحياة والسياسة كانوا يعرفون عن قرب طاقته "التوليفية" الفذة في التقاط مدلولات الواقع وشحنة المفارقات اليومية وتحشيدها في النص المكتوب، وبكلمة، كانوا يعايشون كيف كان" ابو كاطع" يصطاد الفكرة، بمهارة بنائية حاذقة، من تناقضات اللغة او من تناقض الواقع ويعيد انتاجها في توليفات شعبية تلقائية بسيطة على لسان ابطاله وزوار مناماته واحلامه ومحاوريه.

رحل (ابو كاطع).. وبقيت ذكراه: مشهداً ينتمي الى الحياة بحكاياته التي مازالت مرتسمة في الذاكرة وكلماته التي اصبحت عالما يسكنه البشر، وتحولت الى قوة حاضرة، توحي بوجود آخر له، من اجل ذلك ينبغي ان لا ننسى وجود القمر منتصراً على الظلام.

في خضم تلك الفترة الحرجة كان عمود الفقيد "ابو كاطع" ملاذنا الوحيد و متنفسنا .. لم يكن عمودا صحفيا وحسب انما كان بيانا صارخا فاضحا لكل تردي تتسبب به حكومة البعث، وكثيرا ماأحرجت قيادة الحزب مع البعثيين الذين اصبحت قيادتهم مؤرقة قلقة بما يكتبه "ابو كاطع" ، واتذكر جيدا كيف كنا نحط ابصارنا على عموده الشجاع قبل ان نطلع على افتتاحية الجريدة التي تمثل راي قيادة الحزب، توفر العمود (بصراحة ابو كاطع) على العديد من عناصر النجاح، ولعل بساطة اللغة المكتوب بها في مقدمة هذه العناصر، الى جانب الحبكة الصحفية العالية التي اكتسبها الفقيد من خلال تجربته الصحفية العريقة بالاضافة لخبرته النضالية وروحه الفلاحية الشجاعة ما اشاع الاهمية في ذلك العمود للحد الذي جعل الناس يتشوقون لشخصية(خلف الدواح) صديقه الفلاح الذي صنع منه بطلا لعموده. ناهيك عن تجربته في كتابة الرواية إذ اجمع معظم المختصين بالرواية العراقية على تصنيفه (روائي الريف) بينما أطلقوا على غائب طعمة فرمان صفة (روائي المدينة).

القصيدة للشاعر الكبير شاكر السماوي

الرَحيل

أبو كاطع...أيها الرجل...لروحك هذه الإشارات الروحية

التي طمحتْ أن تسمو بالشعر سمو الشعور.

××××××××××××××

جِجَي ، او حَجيه تطرّز بالصراحه

او سكت ، والروح بعيونه مَناحه ،

تطوف الناس بيها ادموع موشومه ابجراحه ،

التجي بيها الضحايا اعيون ،

مسك الريبورتاج :

تنعَى... والدموع... اتزيد بالعشك نواحه ،

حِجَي لأجلي

او حِجَي لأجلك

او حِجَي لأجل الوطن

او حِجَي لأجل ذاك الزمن ،

حِجَي روحه الرجل ،

والكاع... اعلىَ ترتيلة سواليفه تُمُر ع الكاع ،

نواعي امن النواعي اتجيب:

هلاهل من تجيك اتشوف رايته او سلاحه ،

[الوطن ، يَبْن الوطن ، يناس بالعار

وجفوف الخيانه والغدر ع الروح تندار

لجن نعرف وطن ـــ مثلك ـــ ع السياده ايغار

من باعه الخليفه ، الدار

مشت تحمي ابجثثها عتبة الدار.]

حِجَي ابحَجي الصدك

والناس واحلامه او صُباحه

او سكَت ، والناس بحروفه صِداحه ،

اليدك باب الضماير بالضمايرَ ذيج ،

يصحَيها...او يرد ذاك الصدك بيها

او يرد بيها المراجل ذيج ،

مواكب ثار بيها أتشوف :

الجدَم بالموت ، والجف ابسلاحه .

او حَزَن لأجلي

او حَزَن لأجلك

او حَزَن لأجل الصدك

او لأجل ذاك العشك ،

حَزَن كلبه الرجل ،

والناس... اعلىَ ترتيلة سواليفه تُمُر بالناس ،

شعب لو طفّوا اشموعه

يظل يضّوي علىَ ادروبه ابجروحه .

[الشعب ، يَبْن الشعب ، بالسوط يندار

والدم والمشانق والظلام... اعلىَ الضمير اسوار ،

شيّدها العميل او مادرىَ ابكل روح جم ثار ،

يتنطّر ، والزمن دوّار ـــ فد ساعه صفر بجفوف ثوار ،]

او حِجَىَ ابحجي الحلم والشوف والشعب او سلاحه ،

او سكَت ، والنور يغسل كل جراحه ،

التظل بينه :

دمع لأجل النُفك يصدح

او دمع لأجل الدمع يجرح

او دمع لأجله شرَد بالروح

يخاف العين تحجيه ابصراحه .

او غُضَب لأجلي

او غُضَب لأجلك

او غُضَب لأجل الشعب او لأجل ذاك التعب ،

غُضَب حرفه الرجل ، وحنه...

اعلىَ ترتيلة سواليفه نرد بالنار ،

مشاعل ع الدروب اتفوت ،

تُخط ع الموت والظلمه صُباحه .

[الحزب ، يَبْن الحزب ، ينشاف بالنار ،

خلايا او مفرزه وايام تندار ،

علىَ الجلاد ذاكَ الما شبَع من عار

ثوره اتمد فجرها انصار...

من هامة جبلها الجِدم الاهوار .]

××××××××××××

هذه القصيدة قدمت في اربعينية الفقيد التي نظمتها رابطة الادباء الديمقراطيين العراقيين – فرع الجزائر في غابة تيبازه بالجزائر العاصمة – ٢٢-٩-١٩٨١.

عن (الحوار المتمدن)

شمران الياسري (أبو كاطع) رحيل في غير أوانه

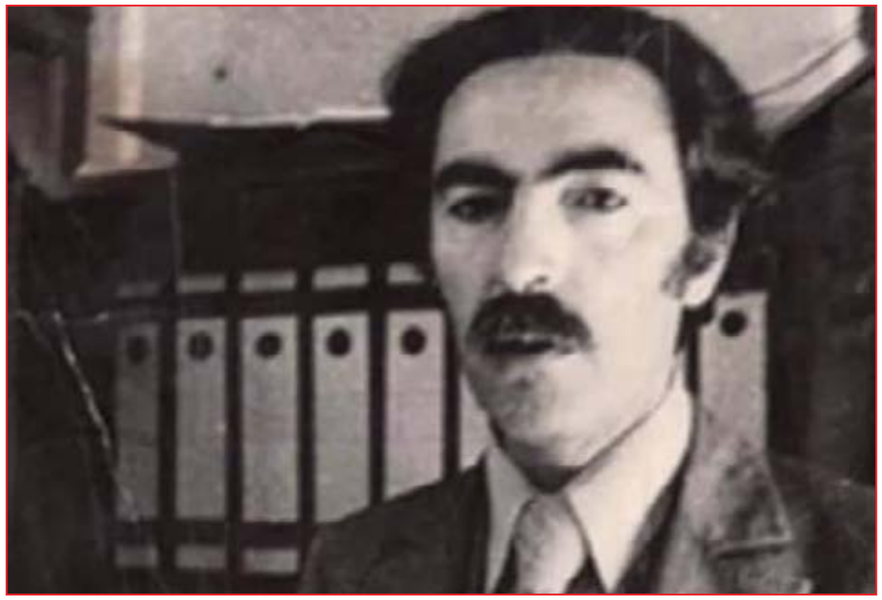

كريم راهي

يتذكّر الجيل الذي عاصر السنوات المبكّرة لثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، أن برنامجاً إذاعياً كان يقدّم من الإذاعة الرسمية للجمهورية الفتية تحت معرّف (إحجيها بصراحة يبو كاطع)، كان وراءه مُعدّ ومقدّم ذو وعي سياسي واضح ولغة مُيَسرة جذّابة استطاع بها أن يستقطب اليه الشارع العراقيّ الذي كان قد خرج توّاً من تبعيّة بلاده للمعاهدات وهيمنتها عليه، وجعله يتحلق حول أجهزة الراديو في المقاهي والمنتديات الاجتماعية ليستمع إلى صراحته.

هذا الـ (أبو كاطع) لم يكن سوى فلاّح جاء من ريف الكوت إلى العاصمة، وهو يحمل مسبقاً حسّه الثوري المكتمل، ضمن موجة هجرة جماعية لفلاّحي قرى الجنوب الذين وجدوا أنفسهم فجأة وهم متحرّرون من ظلم الإقطاع الذي انتهى وانتهاء الحكم الملكي.

بانتظار موعد البرنامج

يقول أحد معاصريه من الكرد، أنهم كانوا ينتظرون موعد إذاعة ذلك البرنامج على الهواء بمثل ما كان عرب الوسط والجنوب يفعلون. هذا فضلا عن زاويته اليومية في جريدة (اتحاد الشعب) التي حملت عنوانا مماثلا: (بصراحة أبو كاطع)، وهو يتناول عمله الإذاعي ذاته، بطريقة العمود الصحفي.

انتهى البرنامج بعد سخط (الزعيم) حين ورد إليه أن الياسري قال جملة قد تكون فيها إشارة للزعيم نفسه من طرف خفي، وهي (الحصان هو ذاك الحصان بس جلاله تبدل)، ولم يعد البرنامج يقدم بعد ذاك. وبعد فترة ألقي بأبي كاطع في السجن، مع من ألقي بهم من مثقفين، لتوقيعهم على بيان (إحلال السلم في كردستان)، لكن بعد سنة أطلق سراحه وكان ذلك قبل وقوع انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ بفترة وجيزة، ليواجه خطراً من نوع آخر كان سيكلّفه حياته مبكراً، فبادر إلى الهروب والتخفي في ريف الكوت في منزل عمّه (السيد مالك الياسري) الشخصية المعروفة.

رحيل في غير أوانه

شمران يوسف محسن الياسري، المولود في الكوت عام ١٩٢٦، توفي في حادث سير ببراغ في مثل هذه الأيام (آب ١٩٨١) وشاع حينها أنه عمل مدبّر من المخابرات العراقية، فقد كان الراحل قد غادر جيكوسلوفاكيا إلى كردستان، مارّا بهنغاريا لزيارة ولده (جبران)، لكنّ مصيره كان الموت عند اصطدام سيارته بشجرة، لقد كان رحيلا في غير أوانه، نقل بعدها جثمانه ليدفن في لبنان في مقبرة شهداء المقاومة الفلسطينية، التي كان يعمل في صحافتها.

وعدا عن كونه إذاعيا وروائياً فقد كتب في الصحافة اليسارية العراقية كمجلة الثقافة الجديدة التي ترأس تحريرها لفترة، وجريدتي الفكر الجديد والتآخي، ثمّ طريق الشعب التي عاود فيها كتابة عموده اليومي الساخر (بصراحة أبو كاطع)، منذ عام ١٩٧٣ لغاية اغلاقها ١٩٧٩.

خلف الدواح

وكان بطلها شخص يدعى (خلف الدواح) وهو قناع كان يتخفّى وراءه كي يمكن له أن يقول من خلاله ما يُراد منه الإشارة إلى نقد الوضع السياسي الكائن آنذاك، وكثيراً ما تسببت هذه الشخصية بمتاعب تجرّ ويلاتها على الجريدة وصاحب الشأن. فكانت التحذيرات الرسمية تترى، والصحف السوداء تتصدّى للرد على تلك المواضيع.

كتب أبو كاطع في الرواية رباعية صدر أولها عام ١٩٧٢، وتوالى صدور باقي الأجزاء ليكون بذلك أول روائي عراقي يكتب باللهجة المحكية عن ريف الوسط والجنوب، كانت عناوينها على التوالي: الزنار، بلابوش دنيا، غنم الشيوخ، وفلوس احميّد، وكانت تؤرخ لتطوّر الوعي السياسي في ريف العراق من بداية تأسيس الدولة ولغاية الحكم الجمهوري.

مدرسة في الكتابة

لقد خلق عمود (أبو كاطع)، برغم اختزاله، مدرسة في الكتابة الصحفية تميّزت بالمزج مابين الحدث الآني والحكاية الشعبية، بين المرئي والمتخيّل، بين الحاضر وما يجب أن يكون عليه، بروح ثورية تصل غايتها في نفوس قرّائه بسهولة ويسر، فيما كانت تُشحذ ضدّه الأقلام المأجورة، للتقليل من شأن ما يكتب بحجة كونه عمودا صغير الحجم وكان يؤخذ عليه أنّه غير مكتوب بلغة (المثقّفين)، فيرّد عليهم أبو كاطع بحكاية صغيرة على لسان (خلف الدوّاح) ستخرسهم إلى الأبد، حكاية أتذكّر أن عنوانها (البطة وأبو الزعر) أذكر منها أن البطّة فيما كانت تتبختر في مشيها على الحشائش، قفز أبو الزعر (وهو طائر صغير الحجم جدّاً) وصاح بها محذّراً إيّاها أن تدوس على بيضاته فتهشمها. فضحكت البطّة من كلامه وهزّت (بيدها) قائلة: تهيّ بهيّ، هو انته نفسك بالعين متنشاف، لعد بيضاتك شكبرهن؟ فأجابها الطائر المنكوب في الحال: هذنّي البيضات اللي تشوفين وحدتهن بكد الحمّصاية وتستهزئين بيهن، والله لو تدرين شلون عيوني يصيرن ارباع ارباع لمن أبيّضهن!

رحل شمران الياسري، وترك إرثاً عظيماً من الحكايات والأعمال الأدبية الأخرى، قد يكون من حسن حظّ العراقيين أنها متوفّرة للآن، وتسجّل رقماً لا يستهان به في المبيعات. فقد صدرت حكاياته عن خلف الدوّاح في طبعتين مختلفتين، وأعيدت طباعة رباعيّته لمرّات، فيما بقي محبّوه يتطلعون لإعادة طباعة رواية (قضية حمزة الخلف) التي لم تنل حظها كباقي أعماله.

العدد (6082) السنة الثالثة والعشرون - الخميس (5) شباط 2026

عراقيون
من زمن التوهيج

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
للإعلام والثقافة والفنون

فخري كريم
رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير

رئيس التحرير التنفيذي
علي حسين

هيئة التحرير
غادة العاملي
رفعة عبد الرزاق

يمكنكم متابعة الموقع الالكتروني
من خلال قراءة QR Code:

www.almadasupplements.com

Email: info@almadapaper.net

طبعت بمطابع مؤسسة للإعلام والثقافة والفنون

ابو كاطع .. ذاكرة الوجدان

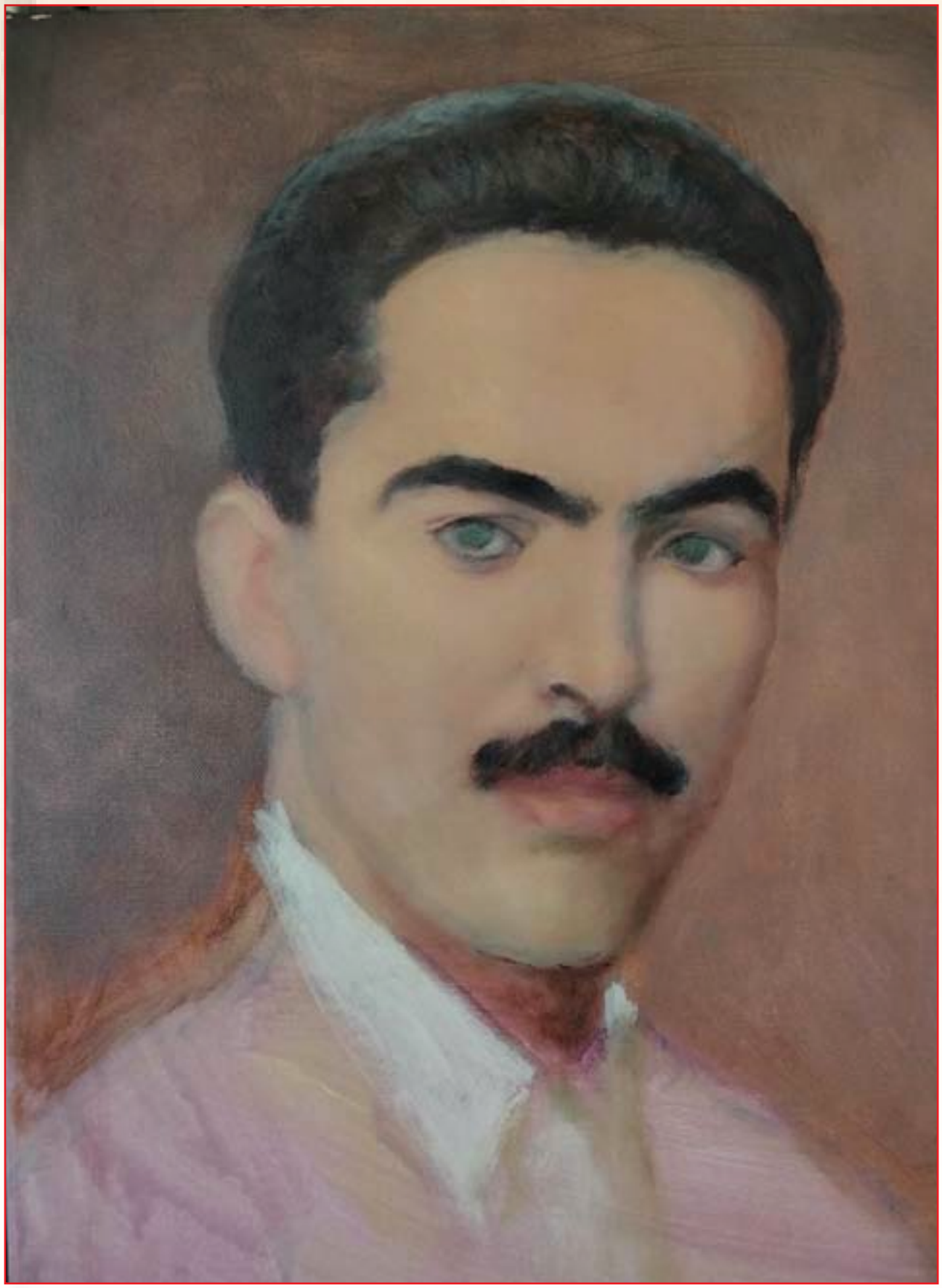

زيد الحلّي

في ١٧ آب ١٩٨١ ، غاب عنا ، شمران الياسري « ابو كاطع « الكاتب متعدد المواهب ، لكن اسمه لم يغب ابداً عن ذاكرة مجايليه او ابنائهم ، وبعيداً عن المقدمات ، اذكر حالة ، مررت بها مع هذا الانسان الكبير وهي انني تعرفت على شمران الياسري في عام ١٩٧٥ او ١٩٧٦ حين كلفني رئيس تحرير الجريدة التي أعمل فيها بكتابة موضوع عن ناحية (الفهود) في اعماق الناصرية ، بما يشبه الرد على ما كتبه الياسري في جريدة « طريق الشعب « عن هذه الناحية الغافية بإهمال على اهوار الناصرية ، والمرتبطة بقضاء الجزائر والمؤسسة كناحية رسمياً في العام ١٩٦١ ...

كانت الناحية عند زيارتي لها تعاني من الملاريا ، وقلة المياه الصالحة للشرب ونقص في ابنية المدارس، وهي الحالة ذاتها التي كان قد اشار اليها الياسري ... وحين عدتُ من مهمتي ، لم اكتب التحقيق الصحفي الذي كلفتُ به للرد على الياسري ، بل كتبتُ تقريرا الى رئيس التحرير مؤكدا ، صدق ما كتبه الياسري ، وللأمانة التاريخية ، اذكر ان رئيس التحرير اقتنع ، وثمن صدق ما اوضحت وشكرني ، وطلب اهمال موضوع الرد الصحفي ، واكتفى بتحويل ملاحظاتي الى الجهات المختصة لمعالجة الأمر.. وفي مدة لاحقة ، رن الهاتف في مكتبي بالجريدة التي اعمل فيها ..

كان المتصل الياسري ذاته ، ويبدو ان احدا ممن التقيتهم في ناحية " الفهود " اخبره بالزيارة وباسمي.. كان صوت الرجل، يحمل دفئاً ومودة مازلتُ اتذكرهما... فنشأت بيننا منذ ذلك الحين ، صداقة استمر ضوعها لسنين لاحقة حتى توفاه الله في حادث سير بهنغاريا في العام ١٩٨١ ..

وهذه هي الصحافة، تحب من يهواها ويمارسها بصدق، فتمنحه شهرة تبقى تتبعه حتى بعد مغادرة الدنيا بعقود وعقود ...

قد يظن متابعو ابي كاطع ، أنه كان يكتب بسطور يملأها الضوء الفضفاض ، لكني لمستُ من خلال قراءاتي لمقالاته وكتبه ، انه كتب بسطور يسودها الظلام المقصود ، باعتبارها رمز الموت ، من اجل ان يخرج الضوء من بين حروفها ساطعاً ، مؤثراً .. فالضوء عنده يمثل النور المجتمعي الذي يغازل الحياة مثل لحظات الشروق في فجر بهي كان يتخيله لوطنه .. كان ابو كاطع شمساً بين الناس ، يلتمسون منه دفئهم ، ويشتاقون لعموده الصحفي ، وينتظرون صوته العراقي من الاذاعة ، الصوت المعجون بحب الوطن في كل حديث له ، وهي احاديث ، اسميها مدرسة (شمرانية) بامتياز تعتمد على احترام الكل وتوقير الكل .. لم يقل كلمة فيها إقلال من شأن أحد، أو جرح لشعور إنسان. ولم يعامل أحدًا باستصغار، كما لم يتجاهل أحدًا مهما كان مجهولًا، فامتلك محبة لا تغيب عن الذاكرة العراقية.

ان رباعيته الشهيرة "الزناد" و"بلا بوش دنيا" و"غنم الشيوخ" و"فلوس حميد" وحكاياته وأقصوصاته التي نشرها في صحيفة "طريق الشعب" وقبلها في " اتحاد الشعب " و لاحقاً في عدد من الصحف العربية ، وبرنامجه الإذاعي في أواخر الخمسينيات "احجيه بصراحة يبو كاطع" من إذاعة بغداد ، هي ميراث ومفخرة ثقافية وانسانية ، تركها الرجل للشعب الذي احبه ، قبل أن يتركها لأسرته الكريمة..

تحية لروحك العزيزة شمران الياسري .. نم قرير العين، فابنك الوفي إحسان الياسري حارس امين لإرثك .

"22عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"

عراقيون

من زمن التوهج

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
المدى للإعلام والثقافة والفنون